

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

مؤسسة الشيخ عمي سعيد

ثقافة — تربية — تراث

الذكرى الأربعون لتأسيس معهد عمي سعيد

لقاء التواصل والوفاء

أيام الثلاثاء إلى الخميس 6 — 8 شوال 1434 هـ / 13 — 15 أوت 2013م.

أهل الحق والاستقامة في شمال إفريقيا آلام وآمال

إعداد الأستاذ: إبراهيم بن عمر بورورو

خطة المداخلة

1. مقدمة.
2. أهل الحق والاستقامة بشمال إفريقيا: آلام.
3. أهل الحق والاستقامة بشمال إفريقيا: آمال.
4. حاجات أهل الحق والاستقامة بشمال إفريقيا ودور قدماء معهد عمي عيد في ذلك.
5. خاتمة.

1. مقدمة: تربط بين مواطن الإباضية في شمال إفريقيا: جبل نفوسة بليبيا، جربة بتونس، وادي مزاب بالجزائر علاقات تاريخية، تمثلت بالخصوص في تنقل العلماء وهجرتهم بين هذه المواطن الثلاثة، ومما يروى في التاريخ في هذا الصدد:
- تنقل الإمام أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي من جبل نفوسة إلى مواطن الإباضية في كل من جربة ووادي مزاب، وإثمار جهوده في تأسيس نظام حلقة العزابة، التي هي عبارة عن فكرة تعاونية بين الإمام من جهة وبين عائلة المسوريين بجربة من جهة أخرى، ولذا عرف هذا النظام بالطريقة البكرية المسورية، وذلك في القرن الخامس الهجري.
 - هجرة الشيخ أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي من جبل نفوسة واستقراره بين المسوريين في جربة ووفاته هناك، وقبره بجوار مسجد أبي مسور بحومة الحشان شاهد على ذلك، وذلك في القرن الثامن الهجري.
 - هجرة الشيخ سعيد بن علي الآجيمي الجربي إلى وادي مزاب بطلب من وفد شكله المزابيون في القرن التاسع الهجري، واستقراره بمدينة غرداية، وإحياء العلم بها، وبصماته باقية في الوادي إلى يوم الناس هذا.
 - وفود الشيخ علي يحيى معمر إلى معهد الحياة بالقرارة للدراسة والتدريس فيه، في سنوات الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، ومساهمته الكبيرة في تنشيط الأجواء الثقافية والفكرية، وظهر تأثير تكوينه في هذه الفترة جليا في مؤلفاته من مثل كتابه: الإباضية في موكب التاريخ.
- وفي الثلث الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين تلاشت هذه الزيارات بسبب قيام أنظمة جائرة في كل من ليبيا وتونس حدثت من حركة الأشخاص والتبادل الفكري والثقافي بين هذه المواطن الثلاثة، ووصلت إلى حد المضايقات والاعتقالات والسجن والإعدام.
- ومع إطلالة سنة 2011م كتب الله عز وجل زوال هذا الكابوس على كل من ليبيا وتونس، وتنفس أهل الحق والاستقامة - كغيرهم - الصعداء، وبدؤوا يستنشقون هواء الحرية النقي، ويتلذذون العيش تحت ظل الكرامة والعزة، فبدأت التحركات والاتصالات والزيارات.

2. أهل الحق والاستقامة آلام: رغم ما شهدته هذه المواطن من تحسن وحرية، إلا أن هناك عقبات تحول دون الوصول إلى المبتغى في تنسيق الجهود وتبادل الزيارات ورسم الخطط، واستشراف المستقبل، ومن هذه العقبات:

أ - الجانب الأمني: ما تشهده ليبيا وتونس من تقلبات أمنية، وعدم استقرار الأوضاع فيها، يحول دون رسم استراتيجيات واضحة المعالم وتنفيذها في آجالها، كما يحول دون رغبة كثير من الإخوة المزابيين في التنقل إلى تلکم المواطن.

ب - اهتمام الليبيين بالخصوص بتكوين دولتهم الفتية، ومناقشة قضاياهم السياسية من وضع الدستور، وترشيح ممثلهم، أخذ من جهودهم وتفكيرهم الشيء الكثير، فحديث الساعة عندهم يدور حول الاعتصامات، والاستقالات وغير ذلك مما هو معروف في نشوء الدول وسعيها نحو الاستقرار.

ج - حظر النشاط في المساجد وإلغاء قانون تأسيس الجمعيات في كل من تونس وليبيا في العهد السابق أثر كثيرا على نشاط أهل الحق والاستقامة هناك، فلا هيئات عرفية تقود المجتمع دينيا واجتماعيا، ولا جمعيات مدنية تتولى التثقيف والتوعية، مما سبب في ضعف ولائهم بالمذهب الإباضي وجهلهم لكثير من مقوماته الحضارية، إلا في طبقة من الكبار الذين تجاوزت أعمارهم الأربعين، أو الشباب الذين تلقوا تكويننا معينا هنا أو هناك.

د - تشتت نشاط النفوسيين والجريبيين بعد الثورة بين المدن والجمعيات، ففي جبل نفوسة نلاحظ عدم تنسيق الجهود بين قراهم ومدنهم، وخير دليل على ذلك مجيء وفود متتالية إلى وادي مزاب تطالب بالتنسيق، وأما في تونس فقد توزع الإخوة هناك بين جمعيات: جربة التواصل، المعرفة، اللقاء الثقافي، وغياب التنسيق بينها في بعض الأحيان، وهذا ما لاحظته في زيارتي لجربة في ماي 2012م.

هـ - الغياب الفاحش للكتاب الإباضي سواء للمطالعة أو للبيع، إلا ما كان من شحن كبير للكتاب الإباضي العماني إلى جبل نفوسة، ولكن لا يرقى إلى سد حاجات الإخوة هناك ولهفتهم نحوه.

و - عدم وجود مشايخ متصلعين في الشريعة الإسلامية عارفين بالمذهب الإباضي بالشكل اللازم لا في الكم ولا في الكيف، فيتولون مهمة تسيير المساجد وتثقيف الناس فيها، مما سبب في مد وهابي رهيب بترسانة قوية من الكتب والمنشورات، مدعوم من أطراف أجنبية، فهناك شباب إباضي من جبل نفوسة

وجربة تحولوا إلى هذا التيار، وهم يسعون إلى بسط نفوذهم على مساجد الإباضية، ولعل الحادثة الأخيرة في رمضان خير دليل على ذلك فقد استولوا على مسجد مدينة غيزن رغم تدخل السلطات التونسية.

ز - عدم ترشيح هيئة لدى المزابيين لتتولى التصدي لمتابعة انشغالات الإخوة في الجبل والجزيرة، فالجهود موزعة بين برجة دورات قرآنية، ووفود قرى وادي مزاب بناء على علاقات شخصية، مما سيساهم في ظهور تصورات ومناهج مختلفة هناك، مثلما هو موجود هنا.

3. أهل الحق والاستقامة آمال: لعل الصورة التي ستطبع في أذهان الإخوة بعد سماعهم لما ورد في العنصر الأخير ستدعوهم إلى التشاؤم والإحباط، ولكن الأمل يجب أن يكون سيد الموقف، فمن البشائر التي تدعونا إلى الأمل، ما يأتي:

أ - سعي الإخوة في كل من الجبل والجزيرة إلى تنسيق الجهود وترتيب البيت الداخلي، ولعل بعض البوادر تدل على ذلك، منها:

. تأسيس جمعية الجريبيين في فرنسا وبناء المركب الضخم في قلب باريس، والنشاط المتميز له بالتنسيق مع الجالية المزابية في فرنسا.

. قيام جمعيات لأهل الحق والاستقامة في الجزيرة بتنظيم الملتقى الأول للشيخ عمي سعيد بن علي الجربي في ديسمبر 2012.

. تنظيم جمعية الفتح للدراسات الإباضية بطرابلس - التي لها فروع في كل قرى الجبل ومدنه تقريبا - بتنظيم الملتقى العلمي حول فكر المجاهد الشيخ سليمان الباروني في أوائل شهر ماي 2013م.

ب - ثبات أهل الحق والاستقامة على الحق الذي آمنوا به، ووقوفهم مع القضايا العادلة في أحلك الظروف جعلتهم يتمتعون بسمعة طيبة لدى المنصفين من أبناء ليبيا وتونس، كما جعلتهم يتبوأون مناصب هامة في هاتين الدولتين، ومن ذلك:

. رئيس المؤتمر الوطني الليبي السيد نوري أبو سهمين إباضي أمازيغي من زوارة.

. تخصيص ثلاثة مقاعد للإباضية في اللجنة الوطنية للإفتاء في ليبيا.

. المجالس المحلية التي أسست بعد الثورة في مدن الجبل وقراها هي تحت تسيير أهل الحق والاستقامة، فهم الذين يمثلون الدولة الليبية فيها.

. تدرس كثير من الشخصيات النفوسية على تقنيات الصلح، جعلتهم محط ثقة الكثير من الليبيين في المناوشات التي تنشأ من حين لآخر بين القبائل والطوائف.

. المكانة المرموقة التي يتمتع بها الشيخ الدكتور فرحات بن علي الجعيري في تونس بخلفيته الأكاديمية، وعلاقته الطيبة مع الفئات الفاعلة في المجتمع التونسي، وتوازن فكره وانتمائه الوطني الإسلامي، جعلته محط ثقة كثير من الشخصيات والمنظمات.

ج - الزيارات المختلفة لمشايخ مزابيين وعمانيين إلى كل من الجبل والجزيرة بعثت الأمل في نفوسهم وثبتهم على نهج أهل الحق والاستقامة أكثر، ومن ذلك:

. الزيارة التاريخية التي قام بها سماحة مفتي سلطنة عمان الشيخ أحمد الخليلي إلى تونس وجزيرة جربة سنة 2012م.

. زيارة سماحته مع وفد هام من مشايخ الوادي إلى جبل نفوسه عقب الملتقى العلمي حول فكر الشيخ سليمان الباروني بداية شهر ماي 2013م، حتى أن التيار الوهابي ضاق ذرعا بهذا التحرك فأصدر مطوية يطعن فيها في مذهب أهل الحق والاستقامة، والغريب في الأمر أن هذه المطوية اخترقت جموع الإباضية فوزعت في جامع الفتح بطرابلس.

. زيارة مساعد مفتي سلطنة عمان الدكتور كهلان الخروصي إلى مقر جمعية الجريين في فرنسا، وتنشيط محاضرات مهمة هناك.

. الرحلة الدعوية لثلة من الأساتذة من الوادي في شهر رمضان المنصرم 1434 هـ إلى مدينة جادو والقرى المجاورة لها، والتي امتدت لثلاثة أسابيع تركت انطبعا حسنا في أوساط الإخوة هناك، وسوف تؤسس لمنهج قار للتبادل والتعاون.

. وجود طلبة عمانيين قارين دارسين في جامعة الزيتونة بتونس فيما بعد التدرج ساهم كثيرا في توطيد أركان المذهب الإباضي هناك، ورد الشبه المثارة من التيار الوهابي ومن يستمع له، وذلك بالدروس

والحلقات العلمية المتسلسلة، إلا أنه في الآونة الأخيرة منعت السلطات التونسية الأجانب من اعتلاء المنابر الوعظية في المساجد، خوفا من التيار الوهابي وامتداده.

د - التجربة الرائدة التي حبا الله بها المزابيين في مجال التأطير الديني والاجتماعي في المساجد، والتربصات الصيفية لتحفيظ القرآن وتعليم الصلاة، وبناء المركبات الشاحنة لهذا الغرض، استساغها النفوسيون والجرييون على السواء، وهم يسعون لنقل التجربة بإرسال بعثات متتالية إلى الوادي، ومما يذكر فيها الصدد:

. بعثة طلابية لفتيان من جادو إلى المركب القرآني بمنطقة الجاوة بالعطف، في هذه الصائفة 2013، والتي كانت ناجحة إلى حد بعيد.

. قدوم شيخ من نالت هو وزوجته إلى الجزائر للحضور في تربص تعليم الصلاة للبنين والبنات بمركب الاستقامة بالعالية في هذه الصائفة.

4. حاجات أهل الحق والاستقامة في ليبيا وتونس ودور قدماء معهد عمي سعيد في ذلك:

أ - الحاجة إلى التنسيق والتأطير: إن المتأمل في القائمين على التنسيق بين وادي مزاب من جهة، والجلب وجربة من جهة أخرى يلحظ فيهم أنهم من خريجي المعاهد الحرة بوادي مزاب:

. فنجد الأستاذ إلياس أبو الأحباس في جادو يقوم بدور فعال في تنشيط العلاقات وتنظيم الزيارات بين الجبل ووادي مزاب، وهو الذي كان طالبا للعلم في معهد عمي سعيد في أواخر السبعينيات من القرن الماضي.

. كما نجد الأخ فتحي بن عيسى من مدينة قلاله بجربة يقوم بدور فعال في إطار التنسيق بين جمعية جربة التواصل ووادي مزاب، وهو خريج معهد الحياة الذي درس فيه من سنة 1978 إلى 1983م. إذاً نقول إن بواذر التنسيق قد بدأت، والمؤهلون لها هم خريجو المعاهد الحرة من أهل الجبل والجزيرة، مع مقابلتهم من خريجي معاهدنا الذين يأخذون هذه المهمة على عاتقهم، ويتولون التصدي لها، ولو بالتوظيف.

ب - حاجة أهل الجبل والجزيرة إلى تكوينات مركزة في بعض المهارات التي تمكنهم من بناء مؤسساتهم وهياكلهم للانتقال إلى النظام المؤسساتي، وقد وقعت مبادرات طيبة في هذا الصدد، منها:

. حضور الأخ فتحي بن عيسى عدة دورات وتكوينات نظمتها مؤسسة الرضوان بالعطف والمنار بالجزائر العاصمة.

. حضور الأخ إلياس أبو الأحباس مع ثلة من أهل الجبل في ملتقى الدعاة الذي نظّمته جمعية الاستقامة بالجزائر العاصمة في أبريل 2013م

والواجب على الخريجين في هذا الصدد أن لا ينسوا إخوانهم في الجبل والجزيرة، فلا بد من تخصيص مقاعد وبعث دعوات لبعض الشخصيات في كل ملتقى وكل دورة تكوينية.

ج - حاجة أهل الجبل والجزيرة إلى تكوين شرعي مركز في العقيدة والتصدي للإشكالات الفقهية المطروحة في الساحة، ويمكن سد هذا الجانب بالإجراءات الآتية:

- قيام المشايخ المتضلعين في مجال الفتوى بزيارات منتظمة ومتتالية لتلك المواطن، وتنشيط دروس مسجدية، ولقاءات فتوى مع الجمهور كفيل بذلك.

- ربط بعض المهتمين بالفتوى في كل من الجبل والجزيرة بمجلس الفتوى عبر وسائل الاتصال الحديثة، لاستقبال إشكالاتهم الفقهية والإجابة عنها.

هذا وقد أبدى الشيخ عمر بن الحاج قشار استعدادا لهذه المهمة نسأل الله له التوفيق والسداد.

د - حاجة أهل الجبل والجزيرة لاستقبال أبنائهم وإيوائهم في المعاهد الحرة والتربصات القرآنية الصيفية، وفي هذا الصدد لا بد من تسجيل بعض النقاط:

. تخصيص مقاعد دراسية لثلة من الطلبة في المرحلة الثانوية، وحتى الجامعية "جامعة غرداية مثلا" أو في

قسم التخصص بصفة سنوية، مع ضم هؤلاء الطلبة إلى الحلقات العلمية والأنشطة الثقافية، ليتلقوا تكويننا متكاملا.

. استقبال دفعات من الطلبة الراغبين في حفظ القرآن في المراكز الصيفية الموجودة عندنا في الوادي،

على أن يُخصص لهم برنامج وإدارة خاصة بهم، لاختلاف طبيعة التكوين والاحتياجات.

هـ - حاجة أهل الجبل والجزيرة إلى مكاتب عمومية مفتوحة للجماهير يحتل في رفوفها الكتاب الإباضي

الصدارة، والواجب في هذه النقطة يستلزم ما يلي:

. إجراء إحصاءات دقيقة للمساجد والمراكز العلمية التي يمكن فتح مكتبة عمومية فيها في كل من الجبل والجزيرة.

. رصد مبالغ مالية سنوية توجه لاقتناء الكتب الإباحية، ويمكن جمع ذلك من النفوسيين والجريين والمزايين على السواء.

. استغلال ما تقذفه المطابع العمانية من كتب للمساهمة في هذه النقطة.

. وضع خطة لإيصال هذا الكتاب إلى الجبل والجزيرة باستغلال إحدى الوسائل الآتية:

- تعيين شخص أو أشخاص في تونس لمهمة استقبال هذا الكتاب، ثم توزيعه على المراكز والمساجد انطلاقاً من هناك.

- استغلال سياحة المزايين وعلاجهم في تونس لإيصال الكتاب إلى تلك المراكز.

- ربط علاقات تجارية بين مكتبتين أو ثلاث في مواطن أهل الحق والاستقامة للتكفل بهذا العملية، ويمكن في هذا الصدد عرض تجربة دار نزهة الألباب بغرداية لصاحبها الأستاذ مصطفى بن إبراهيم رمضان استغلالاً للغطاء القانوني.

5. خاتمة: بعد هذه الجولة الخاطفة في هذا الموضوع الشائك والمصيري، وبعد هذه الأفكار التي جادت به

قريحتي في زحمة من الأشغال المشتتة للبال، أقول:

. المسؤولية جسيمة يتقاسم حملها الجميع وبدون استثناء.

. هذا العمل يندرج في صميم التعاون على البر والتقوى، ورد الجميل التاريخي للجبل والجزيرة على الوادي.

. إن تأسيس لجنة للتفكير مع وضع آجال محددة لها كفيل بأن ترى الأفكار الموجودة في هذه الورقة طريقها إلى التطبيق وسبيلها إلى النور.

فما في هذه الورقة من صواب فمن الله وما فيها من قصور وتقصير فمن نفسي والشيطان، فالله أسأل أن يوفقنا جميعاً إلى إحياء أمجاد التعاون بين هذه المواطن، وما ذلك على الله بعزيز ولا على همة الغيورين بثقل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم: إبراهيم بن عمر بورورو

غرداية الجزائر، الأربعاء 07 شوال 1434 هـ / 14 أوت 2013م